

"في التسليم للعترة الطاهرة"

أبعاد المكان وأثرها في تشكيل النص في الخطاب
الحسيني (في واقعة الطف)

Place Scope and Its Impact on Forming the
Text in the Husseinist Discourse (The Battle of
Al-Taff)

أ. د. سلافة صائب خضير

العراق / جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد للعلوم

الانسانية / قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Salafa Saeb Khudheir

Iraq/ University of Baghdad / College of
Education Ibn Rushd

sulafasaab@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص

عندما نصف مكانا فإننا نذكر صفاته ، و متعلقاته بشكل مباشر أو غير مباشر ورصد إمكانات هذا المكان ، وهذا الأمر يجعل المتلقي يوقن بتغير حال النص إلى حال أخرى بسبب تغير المكان وخلفياته ، ويعيد المكان توظيف الصورة الفنية لتفعيل الخيال ، وإعادة تشكيل العالم واكتشاف علاقاته الكامنة أو الجمع بين عناصره المتضادة والصورة الفنية تكسب المكان صفة جمالية من خلال إعطائه قيمة دلالية تميز بين ظواهره ؛ لأن الشيء في مكانه يحقق وجوده الخارجي بذلك الوجود ، ويشير إلى حقيقة واقعه في العالم أما وجوده داخل المكان في النص فيجعله يحمل دلالة خاصة ، وتبرز بعد ذلك المشاركة الوجدانية بين نظرة المبدع ، وإدراك المتلقي ، بل إن طبيعة المكان تحدد طبيعة النص وطريقة قوله ، وتثير صوراً لها صلة بإحساسهما معا ، ويمكن للغة أن تعطي النص أبعادا حسية ، وإيجاد ما لا وجود له إلا بخيال المبدع ، ومن ثم إضفاء صفة الواقعية على ما هو خيالي ، ومن هنا تخرج الكلمات من كونها إشارات إلى كونها رموزا كثيفة دلالياً محققة مستوى أعلى من الإبداع الفني.

وما حصل في النص الحسيني كان أمرا مماثلا ، فقد تحددت طبيعة النص الحسيني بحسب المكان الذي وقعت فيه الأحداث ، فبني النص بطريقة تؤثر في المتلقي وتساعد في إدراك أبعاده ، لكن المهم لنا هو النظر إلى تشكيله حسب طبيعة المكان ، فنجد آليات مهمة بدت واضحة فيه ، مثل الرمز ، أو التكتيف الدلالي ، أو اقتباس الآيات القرآنية ، وسوق الحجج والبراهين على صحة ما يساق من حقائق انسانية ، واستعمال اللون سواء بشكل صريح أو غير صريح ، وتفاعل

العناصر المكانية في تناسقها أو في تضادها لتشكل بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي
أما يكون بؤرة للعلاقات التي تجمع عناصر النص وتؤلّفها أ فالمكان يكشف عن
شخصية الإنسان أ في حين يعطي الأخير للمكان قيمته بوجوده فيه ، إلا إن ما حصل
في الخطاب الحسيني كان علاقة تحاور بين المكان والإنسان فوجود الإمام الحسين
عليه السلام فيه أعطاه خلوداً وأهميةً ، وأكسبه دلالاته التاريخية والسياسية والاجتماعية .

Abstract:

When describing a place, we recall its characteristics, contents directly or indirectly and monitor its potentiality. Such sets the interlocutor makes the receiver sure that the text is changed as much as the place and the background experience a change. The reality of the place grants a sense of aestheticism as there is a semantic value: something is its place gains its existence in a space.

By the same token, the Husseinist text relishes in the real place of the main incident in history .So the text in a way that affects the recipient and help him realize its dimensions, but what is important for us is to consider the composition according to the nature of the place. There are clear important mechanisms: symbols, the semantic condensation, the quotation of Quranic verses, proofs of the validity of human truths, and the use of color, whether explicitly or not, and interacting spatial elements in their consistency. Thus, the place reveals a human personality, when giving the last place of its value through its presence in , but what happened in the Husseinist speech is the nexus between the dialogue , the place and the human presence , Imam Al-Hussein (peace be upon him) granting eternal importance and a historical, political and social significance to the place .

المكان ، والحيز ، والفضاء وغيرها من الأسماء الدالة عليه ، هي إشارات مهمة لما يكون من موقع في الكون يشغله الإنسان ، ويمارس فيه حياته بكل تفصيلاتها الدقيقة ، فهو يعيش في المكان ، ويواصل حياته ضمن الزمان ، وقد فطن المبدعون لأهمية المكان ودوره في تشكيل حياة الإنسان ، فهو يعيش فيه ، ويتطور فكره وتنمو شخصيته ، وتتغير مشاعره بحسب المكان الذي يعيش فيه فقد يكون تعيسا ، إذا ما عاش في السجن ، أو قد يكون سعيدا إذا عاش في مكان تحف به الحدائق الغناء وتشدو فيه الطيور المغردة ، وقد يصبح قلقا خائفا لو رماه قدره على جزيرة نائية في أحضان البحار ، فإذا كانت هذه حال البشر في المكان وتأثره به ، فقد كان لزاما أن يظهر المكان في موقع مهم في كلام البشر ولغتهم ، ومن ذلك النص الأدبي على اختلاف نوعه من رواية ، أو قصة ، أو مسرحية ، وليست الرسالة ، أو الخطبة ببعيدة عن هذا الأمر .

ولم يرض الانسان منذ القدم بالمكان الذي يعيش فيه فحاول أن يغيره ويبدله ؛ ليثبت هيمنته وسيطرته عليه من خلال اثبات وجوده وكيونته فيه ، فبنى القصور ، وشيد الحصون ، وعظّم بناء القلاع ، وعبّد الطرق ، وهندس الحدائق الغناء ، في محاولة منه لإثبات وجوده وتعزيز سيطرته ، وإثبات هويته ، في مقابل إدراكه حقيقة أنه يعيش بين ثنائية المكان ، والزمان إذ يمثل أحدهما الثبات وهو المكان ، في حين يمثل الآخر المتغير أي الزمان ، والمكان يدرك بالحواس ، في حين يدرك الزمان بالعقل والشعور والمكان صورة بدائية تحسها حواسنا الخمس ، ويدرك الإنسان الزمان إدراكا غير مباشر من خلال قوة تسلطه عليه ، وتأثيره فيه ^(١) .

أدى وجود الإنسان في المكان إلى بناء علاقة بينهما، تنامت العلاقة حتى أصبح

المكان موضوعا للبحث بغية التعمق في المحسوس^(٢)؛ لذا وجدت دراسات كثيرة عنيت بذلك الموضوع، فدرست خصائص المكان أي العلاقات المكانية مثل: الجزء بالكل، وعلاقات الاندماج والانفصال والاتصال، التي تعطينا شكل المكان الثابت، الذي لا يتغير بتغير المسافات والمساحات والأحجام^(٣).

وتنوعت الدراسات عن المكان وقسمته على أساس سلطة الأماكن^(٤)، وحاز المكان بعدا فلسفيا فأصبح هو ما يحل فيه الشيء، أو ما يحوي ذلك الشيء ويحده ويفصله عن الأشياء الباقية^(٥). وتقسم كذلك إلى مكان تصوري، ومكان إدراكي حسي، ومكان فيزيائي، ومكان مطلق^(٦)، ولما كانت الرواية هي الإنسان نفسه وحياته؛ لذا عني نقاد الرواية بدراسته، واسموه: المكان الروائي، والفضاء الجغرافي، والفضاء الدلالي، والفضاء النصي، والفضاء بوصفه منظوراً^(٧). تجري فيه أحداث الرواية، ويشير الفضاء الروائي إلى المسرح الروائي بأكمله، ويكون المكان جزءاً منه^(٨). والمكان في النص الروائي عنصر غالب حامل لدلالة العمل الروائي، ويمثل محورا من محاور الرواية وعناصرها، وعندما تفقد الرواية صيغتها المكانية، فهي ستفقد حتما خصوصيتها وأصالتها^(٩)، والمكان بحكم طبيعته يؤثر في المبدع، ويساعده في استخراج مكونات ذاته، فيجري الإبداع على لسانه، ويبدع قلمه جملا رائعة تؤثر في من يقرأها^(١٠)، ويعبر عما يريد قوله^(١١). ومن منبع أهمية المكان استقيت فكرة ربط النص الحسيني بمكانه، وكيفية تأثير المكان فيه، والفرق بين المكان الروائي والمكان الحقيقي، ووجوده فيه يختلف جذريا عن المكان في النص الحسيني؛ لكون المكان حقيقيا، احتضن أحداثا جساما هزت أركان العالم، وكتبها التاريخ ونقلها عبر العصور.

إبداع المكان وتشكيله في النص وعلاقة المكان الواقعي به :

المكان في النص اللغوي بناء ، يشيده خيال المبدع وبينه مكونا بذلك صرحا كاملا ، يضمه كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها ؛ وتعتمد طريقة بنائه على سعة خياله وإحاطته بالأفكار بشكل عام ، ومادة هذا البناء هي الكلمات التي ينتقيها خيال المبدع بلا وعي منه وأحيانا بشكل واع^(١٢) ، فالمكان متخيل مثلما بنته الكلمات انصياعا لأغراض التخيل وحاجته ، عبرت عنه تلك الكلمات التي تنتجها مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة التي نجدها في النص^(١٣) . ومعنى ذلك أن عبقرية الأدب والأديب تبدو واضحة من حيزه الإبداعي الذي يسير فيه^(١٤) . ويمتلك الروائي وسائل متنوعة تحقق له غاياته في الإبداع الفني منها الوصف الذي يعد طريقا للبوخ يستعمله المبدع لإظهار مكونات نفسه بلغة معبرة ، وتولد هذه اللغة الصورة الفنية التي تثير خيال المتلقي ، وتجعله يشعر بحالة توهم الحقيقة ، فيظن لوهلة أن ما يرسم على صفحة خياله هو حقيقة وليس خيالا ، ومن وسائل استثارة الخيال توظيف الرموز والاستعانة بها ، ولكل منها دوره الفعال في النص الروائي . ثم الوصف فالروائي حين يلجأ إلى الوصف ، يبذل قصارى جهده للبرهنة على قدرته أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحا ؛ لأن الوصف هو : " ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات " ^(١٥) ، بشكل محسوس وأمين^(١٦) ، معيدا إنتاج الأشياء التي تبدو ساكنة بلا حركة ، متمثلا الحركة لها في سكونها الذي يلفها بشكل منظور^(١٧) ، مغلفا بالمصدقية مطابقا للواقع في مظهره الخارجي ، محققا لمرجعية مشاهدة .

وما يعيننا في البحث هو وصف المكان الطبيعي الحقيقي ، وتجسيده للوقوف على أدق صورة له تجربنا بما يمكن أن نراه على أرض الواقع من خلال الصورة البصرية المتكاملة^(١٨) ، المدركة بوساطة اللغة^(١٩) التي تقدم تفصيلات دقيقة لعالم واقعي وليس عالما متخيلا^(٢٠) . ذلك العالم المتصف بكل " المعاني الوصفية التي تدخل في تركيب صورة المكان والقيم الرمزية المنبثقة عنها " " ^(٢١) ، للوقوف على العلاقة بين المكان والشخصية في النص الحسيني . ومدى اختلاف صفاتها وتنوعها من مكان إلى آخر واكتشاف الفوارق الاجتماعية والنفسية والأيدولوجية لديها ، فالإنسان مهما تنوعت مكائته ، وتغيرت أحواله ؛ لا بدّ له من أن يتأثر بالمكان الذي يضمه بشكل أو بآخر^(٢٢) ، التأثير قد يكون منظورا حينا وغير منظور أحيانا ، لكنه يبقى أمرا مؤثرا في الخطاب الذي يصدر عنه ، ويوجهه إلى الآخرين موضحا دلالات مهمة تعزز فكرة ما يود عرضه في نصه ، ومن هنا سيعيد المبدع إنتاج الواقع في نصه متخذا من ذلك الواقع وجودا حيا داخل النص قد يتعدى مجرد كيان يحمل دلالة خاصة ، أو إشارة إلى شيء ما ، إنه حالة ملهمة يريد المبدع إيصال تأثيرها إلى المتلقي^(٢٣) ، راسما بذلك الصورة الفنية التي تحدد المكان وتعطيه أهميته الوجودية مكونا إحساسا تبادليا مع المتلقي بأهمية المكان وحضوره الطاعني في النص الإبداعي ؛ لأن " الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورة بصرية فحسب ، بل تثير صورة لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته " ^(٢٤) . وهذه الأمور كلها لا تتحقق الا من خلال إمكانية اللغة ، وعبقريتها التي لا حدود لها التي تتجلى في التصوير الإيحائي ، وتهذيب المادة المحسوسة ؛ لإثارة الانفعال الجمالي^(٢٥) .

وأسوق مثلا على المكان في الخطاب الحسيني: البيوت أو الخيام التي يجمي بها آل البيت عليهم السلام " " ثم إنه عليه السلام أمر أصحابه أن يقاربوا البيوت بعضها من

بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ، ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل فيكون القتال من وجه واحد " (٢٦). ومن المعتاد عليه أننا عندما ندرس المكان في النص الأدبي ، نضع في الحسبان أن المكان متخيل ، وكل تفصيلا فيه من ابتداء المبدع ، لكن عندما ننظر إلى المكان وندرسه في النص الحسيني فإننا ننظر إلى مكان حقيقي ، ذي أبعاد إنسانية وحضور إنساني ، فالبيوت هنا الخيام التي تضم النساء والصغار الضعاف الذين لا حول لهم ولا قوة ، وأعينهم ترنو إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ؛ لكي يحميهم ، فما كان منه إلا أن أمر بجمعها إلى بعضها ؛ مما يوحي بالقوة ، وإيقاد النار خلفها يجعلها أكثر أمنا ، ونجد النص الذي جاء في معرض الحديث عن البيوت في الخطاب الحسيني موحيا بالثقة والقوة ، قال الإمام الحسين (عليه السلام) : " إني خرجت أنفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمنا لهجوم يوم تحملون ويحملون ثم رجع (عليه السلام) وهو قابض على يد نافع ويقول : هي هي والله وعد لا خلف فيه " (٢٧). فالحسين (عليه السلام) استعمل كلمة (مخافة) ، وفيها اشعار بالخوف على من معه من نساء وأطفال بل حتى الرجال كذلك ؛ لذا قال بعدها موجهها كلامه لنافع بن هلال الجملي : " ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك ؟ فوقع نافع على قدميه يقبلها ويقول : ثكلتني أمي ، إن سيفي بألف وفرسي مثله فوالله الذي من بك علي لا فارقتك ... ثم دخل الإمام الحسين خيمة زينب (عليها السلام) ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له : هل استعلمت من أصحابك نياتهم ، فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة ، فقال لها : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه " (٢٨). ويأتي سؤال السيدة زينب عليها السلام موجهها ذهن المتلقي للالتفات نحو الجبل فيتبادر حالا إلى الذهن موقف نافع الذي رفض ترك

الإمام الحسين عليه السلام ، والنجاة بنفسه إذ أدرك أن النجاة باتباع الحسين ، وليس بتركه .
ولو عدنا إلى وصف المكان وطريقة الإمام الحسين عليه السلام في التعامل مع المكان نجده قد قارب البيوت ، ثم أعد سورا ناريا حولها وهو سور بينى سريعا ثم يخدم سريعا بحسب تأثيرات الأجواء حوله ، ثم أوجد مسلكا للهرب منه ، ونعود إلى تمثل النص الحوارى بينه عليه السلام وأخته زينب عليها السلام ، فنجد أولا استعمال النيات وهو يشبه تقارب البيوت ، ثم سرعة بناء السور واحتمال زواله بوثبة الفرسان التي تكون سريعة اولا ثم قد تخدم سريعا ، وأخيرا الاستكانة والشعور بالأمان ، ونجد مثيله قوله عن أصحابه : يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه ، وما يجب الوقوف عنده أن الإمام الحسين عليه السلام لم يأبه لنفسه بقدر ما اهتم بأصحابه فهو ناظر إلى حالهم يخاف على مصيرهم وحياتهم .

ونجد وقوفه في مكان يوم عاشوراء " أنه لما أصبح يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيبا فيهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال " (٢٩) . ونجد هنا تأثير المكان واضحا على الرغم من أنه لم يذكره صريحا إلا أن وجوده كان حاضرا في النص وطبيعته الخاصة ، إذ التجأ إلى الصلاة وهي مصدر قوة وعزم ، واتجه إلى الخطابة وفيها استحضار للقوة المعنوية في النفس ، ومحاولة توصيلها للسامع .

ونجد مثلا آخر متحققا في المكان غير المحدد باسم معين مثال ذلك ساحة المعركة التي حدثت فيها واقعة الطف ، ويظهر أثر ذلك في النص الحسيني فقط ، عندما انتقل الكلام من كونه توجيهيا أو تعبيرا عن حالة ما إلى كونه دعاء ، واستغاثة بالله سبحانه وتعالى القوي المتعال الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو ينصر من شاء

، ويعز من يشاء ، من ذلك " لما نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل ، رفع يديه بالدعاء وقال : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوته إليك ، رغبة مني إليك عن سواك فكشفته وفرجته ، فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة " (٣٠).

وتستمر تلك الحالة ويبقى الدعاء هو الحالة التي تهيمن على المكان غير المحدد في ساحة المعركة ، " ثم رفع يديه نحو السماء ، وقال : اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير " (٣١). ومكان المعركة مكان يشير إلى الحواجز التي تغير مسار حياة الإنسان وتدفعه إلى المطالبة بالحرية ؛ لكونها المعنى الأسمى الذي ينشده الإنسان ليعيش فيه معززا مكرما فهي " المعنى الأعلى لكل وجود إنساني " (٣٢) ، ولا يجد الإنسان نفسه الا بحالة تمثل " مجموع من الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات، أي بقوة ناتجة من الوسط الخارجي، لا يقدر على قهرها أو تجاوزها " (٣٣).

دلالة المكان وأثره الموحى في النص الحسيني :

الدلالة أمر مستوحى من المكان ، وليس شرطا أن يكون المكان كله ذا دلالة فقد يكون جزء منه كافيا لأن يحقق ذلك ، مثل أحد عناصره أو ما يتعلق به . والبحث عن الدلالة ليس أمرا صعبا فهي يعتمد على قراءة المتلقي وفهمه لما يقرأ ، ونجد في النص الحسيني أماكن ذات دلالة وإيحاء وأكثرها وضوحا وتأثيرا هي ساحة الجدل والحوار فقد وقف الإمام الحسين عليه السلام مجادلا ومحاورا ومدافعا عن موقفه ، وحقه فيما

يطالب به ، فكانت ساحة الجدل والحوار فضاء مهما ظهر فيه أثر المكان في الخطاب الحسيني ، فقد استعان الإمام الحسين عليه السلام به ؛ لتحقيق ما يريد واستعان بمعلومات مصدقة عند من يسمعها ، وهو يطلب تأييدهم أولا ثم يقوم بعد ذلك بالتعبير عما يريد قوله ، من ذلك أن الإمام " الحسين عليه السلام ركب فرسه وأخذ مصحفا ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال : يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه سيف النبي صلى الله عليه وسلم ولا مته وعمامته ، فأجابوه بالتصديق . فسألهم عما أقدمهم على قتله ، قالوا : طاعة للأمر عبيد الله بن زياد ، فقال عليه السلام : تبا لكم أيها الجماعة وترحا ، أحين استصرختمونا موجفين سللتم علينا سيفا لنا في أيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلبا لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلا لكم الويلات ! تركتمونا ، والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن اسرعتم إليهم كطيرة الدبا ، وتداعيتهم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتمونا فسحقا لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم ، وعصبة الإثم ، ونفثة الشيطان ومطفي السنن ! ويحكم أ هؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ! أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم ، وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة ، شجى للناظر وأكلة للغاصب ! " (٣٤) .

لا تذكر ساحة المعركة صراحة في النص المذكور آنفا وإنما نحس وجودها في النص بشكل طاعٍ ، لكن وجود الإمام الحسين عليه السلام في الساحة جعله يتكلم مع مستمعيه بشكل قوي ودليل القوة أنه ركب فرسه فصار أعلى مكانا من القوم الذين يكلمهم ، ثم أنه نشر المصحف فوق رأسه جعله عليه السلام أقوى حجة منهم ، ثم ذكره مكانته من جده ، جعله أعلى مكانة منهم - وهو كذلك عليه السلام ومن هنا جاء كلامه مفعما

بكثير من الحجج الدامغات اللاتي لا يمكن ردها أو دحضها لقوتها ، وصدقها، وتأتي أدلة قوة كلامه من جملة المتقنة سبكا ومعنى .

ومن النصوص التي ظهر فيها تأثير المكان ، وهو ساحة القتال قوله عليه السلام:
(تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن اسرعتم إليهم كطيرة الدبا ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتمونا فسحقا لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن!) ، فقوله : والسيف مشيم ، وقوله : والجأش طامن ، وقوله : والرأي لما يستحصف . كلها عبارات تدل على قوة موقفه وشجاعته عليه السلام في ساحة كان يفترض بغيره أن يخاف أو أن يتراجع عن موقفه في أقل الأمور قبولا ، لكنه رفض هذا التراجع وآثر الموقف القوي الصلب الذي حسب له ثورة حسينية خالدة .

ومما حصل كذلك في ساحة الجدل والحوار قوله عليه السلام: " أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثا يركب الفرس ، حتى تدور بكم الرحي وتقلق بكم قلق المحور ، عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله : (فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ، ثم رفع يديه نحو السماء ، وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يستقيم كأسا مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير " (٣٥) . ونلاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام اسند كلامه إلى كلام الله ليقوي مكانته ، ولما اطمأن إلى رحمة ربه رفع طرفه إلى السماء مناجيا ربه أن ينصره على من

عاداه ، وهنا نلاحظ أن قوة الإمام الحسين عليه السلام قد تضاعفت أضعاف مضاعفة ؛ لكونه سحب نفسه من ساحة المعركة وما فيها من آلام تطول جسده الطاهر ، ونفسه الزكية إلى ساحة أعظم وأكثر تقرباً من الحق ، وبعداً عن الباطل هي ساحة المناجاة الإلهية التي تبرز واضحة للعيان من خلال الدعاء والتضرع الذي يجعل الإنسان مهما كان موقفه مؤلماً ، سيتحول موقفه إلى قوة وصلابة ، ونلاحظ الإمام الحسين عليه السلام ، قد ادرك هذه الحقيقة فقال : (وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير) ، ويتجلى المكان بقوله عليه السلام ، وإليك المصير وهنا نلاحظ اليقين التام بالالتحام مع المكان الذي سيذهب إليه كل المؤمنین ليواجهوا الله سبحانه وتعالى فيشبههم عما عملوه من نصره لدينه ، واتباعاً لنبيه صلى الله عليه وسلم . ومما يدعم ذلك وإيانه عليه السلام بتحوّله إلى مكان أكثر أمناً وطمأنية قوله : " ويلكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب ، امنعوا رحلي ، وأهلي من طغامكم وجُهاكم " ^(٣٦) ، وبالنظر إلى مكونات الخطاب الحسيني وما فيه من إبداع وتسامٍ سنلاحظ أن المكان ينقسم إلى قسمين ، لكل قسم منهما خصائص ومميزات مهمة تؤثر في النص ، وهذان القسمان هما :

- المكان المحسوس الظاهر بشكل عياني :

تنبثق من المكان الظاهر المحسوس ، أو بعض متعلقاته دلالات خاصة به قد لا نجدّها في نظيره المكان غير المحسوس ، نلاحظ تغيير شكل الخطاب إلى القوة والشدة ، والحزم والتأكد من النصر ، من ذلك استدعاء الإمام الحسين عليه السلام عمر بن سعد فدعي له وكان كارها لا يجب أن يأتيه ، فقال عليه السلام : " أيّ ، عمر أتزعم أنك تقتلني ويوليكَ الدعي بلاد الري وجرجان والله لا تتهنأ بذلك ، عهد معهود فاصنع

ما أنت صانع ، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة ، وكأني برأسك على قصبة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضا بينهم ، فصرف بوجهه عنه مغضبا " (٣٧) .

انبثقت دلالات المكان في النص المذكور أنفا من ذكر أمور عدة ، حدد شكلها ذلك المكان ، فذكر اسماء بلاد هي بلاد الري وجرجان وهي بلاد بعيدة ، مما يوحي ببعد المنال الذي يأمل عمر بن سعد الحصول عليه ، بل أتى البعد من كلمة تزعم وتعني معجميا اختلاق الأكاذيب وتقولها ، وهو قول فيه كثير من الباطل والشك (٣٨) . وإذا أعدنا النظر في الكلام نلاحظ قوله ﷺ ، عهد معهود فاصنع ما أنت صانع ، فنلاحظ قلة اهتمام الإمام الحسين ﷺ بوعد الأعداء له فهو أكبر منهم وأعظم ، ويحدد العقاب في مكان قريب هو الكوفة التي سيكون عليها رأس عدو الإمام الحسين ﷺ ، فهو لعبة يتقاذفها الصبيان ويلعبون به لهوانه عليهم ، وبدت الثقة واضحة في كلامه ﷺ من خلال استعمال المكان ، بل نجد النبوة قوية في النص كله ، وفي النص كله قوة وحزم تحسسننا بأثر المكان في هذا النص الحسيني .

ونجد مثالا آخر في قول الإمام الحسين ﷺ : " أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ قال : (من رأى سلطانا جائرا مستحلا حرم الله ، ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله) . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء . أحلّوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير " (٣٩) . ونجد في هذه الخطبة شدة وحزما ، ففيه توجيه الكلام إلى سامعيه قائلا كلاما لا يخلو من التقريع واللوم والتذكير بما هو مفروض أن يتذكره الإنسان وهو يمر بامتحان عسير مثل الذي مرّ به أصحاب

الحسين عليه السلام، فرؤية السلطان الجائر والسكوت عنه، ثم عدم عمل شيء حيال ذلك، فهذا يجعل الساكت ملازماً للشيطان، تاركاً لطاعة الله سبحانه وتعالى، ويتبدى الحزم في قوله عليه السلام: وأنا أحقّ من غَيْرٍ، أي غير الباطل ووجهه نحو الحق.

ومن المتعلقات التي تقوي الإحساس بالمكان وما فيه من أمور والحالة التي تعترى من يكون فيه اللون، واللون قد يكون واضحاً للعيان منظوراً، وقد يكون غير منظور يبدو من خلال إشارات مهمة تتوضح في النص، واللون يمدنا بصورة المكان المرئية وتحديد اللون و التركيز عليه يحدد دلالة الفكرة المعروضة، باستناد إلى وجود ألوان أساسية وأخر ثانوية، فاللون يفسر المكان تفسيراً طبيعياً مجسداً إحساس المبدع فيه وأمثلة على ذلك أكثر من أن تعد وتحصى وقد تنبه الدارسون إلى أهمية اللون وأولوه دراسات كثيرة ظهرت على الساحة الأدبية والنقدية^(٤٠).

من ذلك قول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أخته عليها السلام " يا أختية، اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة... يا أختية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت " ^(٤١).

وبالنظر إلى المكان نجد مكاناً محسوساً مؤثراً في ذلك النص، لكن ما الذي ظهر واضحاً مؤثراً في الكلام كله، وتوجيهه هو اللون فنحن نعيش حالة تصارع بين لونين أحدهما خافت قليل التأثير، والآخر واضح مؤثر في المتلقي، وهذان اللونان هما اللون الرمادي المتمثل بلون الأرض بعد أن مات أهلها ونجد ذلك في قوله

عليه السلام: واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، والموت يعني الفناء وانتهاء الحال وهذه الحال ستنتهي كل شيء وتبعده عن الإنسان ، فلا فائدة من الوجود بعد ذلك ، أما اللون الثاني فهو اللون الأزرق وأن أهل السماء لا يبقون ، موضحاً أن أهل السماء لا يبقون وهذا يوحي ببقاء ودوام الحال أكثر من أهل الأرض ، وهذا يوحي بالتسليم بحال أهل السماء وأقربهم إلى الصدق والصواب أكثر من أهل الأرض ، والاتجاه إلى السماء يشعر الناظر بالأمان والألفة ، فالسما مصدر الخير والرزق والنماء ، فاستعمال الألوان يرتبط بشكل أو بآخر بالتفكير والانفعال^(٤٢) ، وذكر الأشياء ذات الألوان المعروفة نستحضر من خلالها مرجعيات الأشياء وما فيها من دلالات ورموز سواء أكانت خفية ، أو ظاهرة فهي إحدى عناصر الحياة والاستمرار والقوة والبقاء ؛ لأن في الألوان طاقة مختفية لاسيما اللون الأزرق ؛ لكونه من الألوان الأساسية الأولية التي لا تقبل التقسيم ، ولا يتولد من لون آخر^(٤٣) ، والسماء رمز السمو الروحي والفضيلة الأخلاقية وغيرها من الأمور^(٤٤).

وتجدر الإشارة إلى أن الألوان تبين الحالة النفسية المتولدة عن المعتقدات الاجتماعية ، وإذا جاز لنا أن نتصور ، ونعيش في الحالة التي كانت ضمن النص الحسيني المذكور آنفاً يمكننا القول إن حالتين من الخوف ، والأمن كانتا تتجاذبان نفس الإمام الحسين عليه السلام ، فالخوف نابع من جانب شفقتة على من حوله من الناس ؛ لذا قال : يا أخية وهي كلمة فيها كثير من الرأفة والمحبة والشفقة على امرأة ضعيفة الحال تهاجها جيوش الشر من كل جانب ، ، وهناك جانب آخر في نفس الإمام الحسين عليه السلام يتمثل في الإيمان المطلق بالنصر ، وهو نصر قريب ، وخالد وواضح ، وهو أمر أثبتته الأيام والعصور إلى يومنا هذا .

وكل نص إذا ما نظرنا إليه من هذا الجانب سنجد فيه طاقة خاصة تحدد أبعاده ومراميه من خلال إيجاد " علاقة لغوية متولدة تتمتع بخصوصيتها من السياق والموضوع داخل النص " (٤٥)، واحتواء المكان على المفردات المختلفة يشكل تفاصيله بشكل واضح للعين غير أنه لا يستبعد إشارته إلى رموز خفية أو ظاهرة موظفة في إطار تحقيق النص للغاية منه وتؤسس جمالياته المتجددة .

المكان المحسوس غير الظاهر المفهوم قلبيا :

المكان بصفته عنصرا من عناصر النص على تنوع أصنافه يتحول من حال كونه خلفية تقع فيها الأحداث المهمة في ذلك النوع الأدبي الرواية إلى عنصر يشكل النص ، ويحرك مساراته فللمكان دوره المكمل لدور الزمان في تحديد الدلالة الرواية ، وله أهميته الكبرى في تأطير النص وتنظيم الأحداث ؛ إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية ومجرياتها ، بهذا يمكن القول إنه يشكل المسار الذي يسلكه السرد ويحدد مسلكه ، وهذا التلاحم في العلاقة بين المكان والزمان من جهة ، والأحداث من جهة أخرى ، هو الذي يعطي النص تماسكه وانسجامه ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشييد صرح الخطاب بشكل عام ، ومن ثم تظهر للعيان حالة تنظيم الأحداث بشكل درامي مؤثر (٤٦) . ومن ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) " أما بعد ، فانسبوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا ؛ هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ أأست ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه وابن عمه ، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه ! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم : إن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي : " هذان سيदा شباب أهل

الجنة " ! فإن صدّقتُموني بها أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم ؛ سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، أو أبا سعيد الخدري ، أو سهل بن سعد الساعدي ، أو زيد بن أرقم ، أو أنس بن مالك ؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي . أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ " (٤٧) . فالمكان يبدو واضحا من خلال النص هو الجنة التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام بل ذكر بمن سبقه إليها من أبطال الإسلام ورجاله الأفاضل ، فقال عليه السلام : أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم : إنّ رسول الله ﷺ قال لي ولأخي : " هذان سيدا شباب أهل الجنة " ! ذاكرا حمزة ، و جعفر الطيّار ، ولم ينس ذكر أخيه الإمام الحسن عليه السلام ، وفي ذكرهم تضمينا لحالمهم في الجنة وما ينظرهم من رضا الله سبحانه وتعالى ، وليس نسب الحسين عليه السلام بحاجة لأن يفكر فيه أحد ليتأكد من عظمته ، لكن هذا الأمر أعطى السامع إيحاء بخطأ الأمر الذي هم مقبلون عليه ، فالحسين عليه السلام يضع أمام السامع صورة استشرافية عظيمة جعلت سامعه ينظر إلى الجنة نظرا قلبيا ، فالنص كله مبني على هذه النظرة . واستعان الإمام الحسين عليه السلام بأسماء من سمع حديث الرسول ﷺ ، وهو يذكر أسماء هؤلاء الشهود على أن الحسين عليه السلام أكرم الناس بل هو سيد شباب أهل الجنة .

والمكان هنا مشهد وصفي وصف بشكل غير مباشر ، فالمسلم الذي يعرف قصة استشهاد حمزة وجعفر والحسن عليه السلام سيعرف بالتأكيد صورة الجنة الحقيقية التي رسمت في ذهنه وبدت تلك الجنة إطارا للحدث داخلا في صلوات وثيقة مع مكونات النص الأخرى مكونا نسيجاً خاصا تحدده حركة المتكلم في المكان ، فتغير

إيقاع السرد بحسب تغير الأمكنة واختلافها في النص ؛ مما أدى إلى تغير الإحساس بالأمكنة داخل الفضاء النصي ، الذي ينتج نقطة التحول الحاسمة في حالة الإقناع الحاصلة بين المبدع والمتلقي^(٤٨) . بل إن وجود عناصر متضادة في المكان قد شكل بؤرة تفاعل نصي زادت النص بعدا جماليا بسبب تجمع شبكة من العلاقات التي تجمع عناصره بعضها إلى بعض ، وبهذا نال المكان مكانته الصحيحة وحاز على دوره الفاعل وحقق الهدف من ذكره في النص أو من وجود المبدع فيه من باب أولى^(٤٩) .

وظهرت جلوية علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين المكان والشخصيات التي تتحرك فيه ، إذ يعد عنصرا أساسا في تشكيل بنية هذه الشخصيات ، وهو لا يتشكل إلا من خلال ارتباط هذه الشخصيات به وظهورها فيه بمميزاتها والأحداث التي تقوم بها فيه ، وسبب ذلك أن " المكان حقيقة معاشة ، يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه " ^(٥٠) ، فلا انفصال متحقق بين المكان والإنسان القاطن به أو العابر له، فالمكان يكشف عن شخصية الإنسان ، في حين يعطي الأخير للمكان قيمته من خلال تجربته فيه.

ومن ذلك قاله عليه السلام : " أيها الناس اسمعوا قولي ، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم عليّ ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبلتم عذري ، وصدقتم قولي ، وأعطيتموني النصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليّ سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إليّ ولا تنظرون)^(٥١) ، (إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين)^(٥٢) " ^(٥٣) .

والمكان هنا تجمع سيشهد ولادة دولة جديدة له انهم سمعوا رأي الإمام الحسين

ﷺ ورضوا قوله ، وهو مكان كذلك منظور قلبيا ، وليس بنظرة حقيقية ، وبهذا اتخذ المكانة دلالة مختلفة ؛ لأن المكان يتخذ دلالاته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال تشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشخصية ؛ فيشكل حالة شعورية وحسية من ذات الانسان نفسه ؛ لكونه " تصويرا لغويا يشكل معادلا حسيا ومعنويا للمجال الشعوري والذهني للشخصية " (٥٤) ، ويمكن أن يمثل المكان رمزا من رموز الانتماء بالنسبة للشخص لاسيما إذا كان هذا المكان أليفا في علاقته به بل إن بعض الأماكن تولد إحساسا بالامتلاك، حين يكون المكان مكانا وجدانيا . وعليه يمكننا القول إن " هناك أماكن مرفوضة وأماكن مرغوب فيها، فكما أن البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه، فإن الإنسان - طبقا لحاجاته - ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها " (٥٥)؛ لذا نجد الحسين ﷺ ، استعان بالقرآن الكريم ليدعم موقفه ، قال ﷺ وإن لم تقبلوا مني العذرَ ، ولم تُعطوا النِّصْفَ منْ أنفسكم (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكنْ أمرُكم عليكمْ غمَّةً ثمَّ أقضوا إليّ ولا تُنظرون) (٥١) ، (إنَّ وِليَّ الله الذي نَزَلَ الكِتَابَ وهو يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ).

الإحساس بالمكان في النص وتجسده في نفس المتلقي :

لما كان المكان لا يعيش بمعزل عن عناصر النص الباقية ، وإنما يدخل في علاقة تفاعل مع المكونات الحكائية للسرد كالشخصيات والزمان والأحداث والرؤى السردية ، فإن عدم قراءته ضمن هذه العلاقات والصلات يجعل من العسير فهمه داخل السرد النصي . في حين إن قراءتنا له مرتبطة بالعناصر المذكورة آنفا ، وتظهر مدى وعينا بالعناصر وأهميتها ، ثم تكون قدرتنا على فهمه ، ومن ثم قدرتنا على تلقي النص وفهمه .

ليتسنى لنا قراءة المكان قراءة واعية تؤدي إلى فهمه على نحو صحيح لا بدّ من تحديد الرؤية أو زاوية النظر أو المنظور التي يتخذها الراوي ، أو الشخصيات عند مباشرتهم للمكان ؛ لأن الرؤية هي التي تقود " نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تظهر في ذهن الراوي، ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا في خطابه " (٥٧). ولا ننسى فهما للغة الموظفة لتشخيص المكان ووصفه ، " فكل لغة لها صفات خاصة في تحديد المكان أو رسم طوبوغرافيته وبها يحقق المكان دلالاته الخاصة وتماسكه " (٥٨). ومما يجب الالتفات إليه من هو حال فيه ويتمثل في المتلقي أو قارئ المكان في النص فهو يتلقى جمالياته المنبثقة عبر النص السردي ، ولها أثرها في التلقي، وهو يسهم في إنتاج هذه الجماليات (٥٩). ومن ذلك قوله (عليه السلام): " إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفها واستمرت جدا ، فلم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء ، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به ، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه ! ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحققًا ، فإني لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برما " (٦٠).

فقوله (عليه السلام): (إن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت جدا) ، يبدأ الحسين (عليه السلام) كلامه بكلمة (إنّ) التي تؤكد مضمون النص بشكل عام ، ثم (قد) التي زادته توكيدا فالدنيا قد تغيّرت بعد أن كانت زمنا طويلا سائرة على النهج الصحيح ، والوضع القويم ، يكون فيه صاحب الحق في مكانه الصحيح ، ولا يوجد من يطالب بحق ليس له ، لكن الدنيا لم تكتفِ بالتغيير ، بل هي تنكرت ، ولهذا الفعل معانٍ كثيرة في معاجم العربية فمنه معنى يشير إلى تنكر لمن أحسن إليه ، أي أساء إليه على الرغم من إحسانه ، ومنه كذلك تنكر لأفكاره ولم يعد يؤمن بها ، أنكرها وتخلّى عنها ، وتنكر الرجل إذا ساءت أخلاقه .. وغيرها من المعاني (٦١).

وقد اجتمعت المعاني كلها في النص الحسيني المذكور آنفاً ، فالدنيا تنكرت وغيرت ملبسها ، ووجهها وساءت أخلاقها ، وذهب معروفها ، فصارت مرة لا يستساغ طعمها ، واستمر الشيء وجده مُراً^(٦٢) وهذا كله جسد الدنيا وجعلها شخصاً يقبل ويرفض ، بل تتنكر لما تراه أمامها من أمور جسام ، فقد أثرت الدنيا كلها بصفاتها مكاناً واسعاً في سير النص الحسيني وتغير حاله إلى محاولة لاقتناع السامع بهذا الأمر المهم . وفي تركيب آخر يفسر فيه الإمام الحسين عليه السلام ، معنى تنكر الدنيا ، ومرارتها بقوله : فلم يبقَ منها إلا صباغة كصباغة الإناء ، وهي بقيته القليلة من الماء الموجودة فيه ونحوه ، وهي بلا قيمة لقلتها ، فهو عالم أنه قادم على يوم استشهاده ، بل إن التركيب الذي يليه كان (وخسيس عيش كالمرعى الوبيل) وهو المعنى نفسه الذي عناه الحسين عليه السلام في التركيب الذي قبله ، لكنه هنا أكثر إيغالاً في ذكر المضمون الذي يريد الوصول إليه ، فهنا شبه الدنيا بالمرعى الذي أكل ، حتى لم يبقَ منه شيء فصار بلا قيمة ولا فائدة . والمكان الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام هو المرعى الوبيل الذي لا فائدة فيه أي الشديد الذي أكل حتى لم يبقَ منه شيء لآكل .

ومن احساس المتلقي بالمكان قول الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام عندما سمعت الصيحة : " " إني رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي : إنك تروحُ إلينا ، قال : فلطمتُ أختَهُ وجهَهَا وقالتُ : يا ويلتا ! فقال : ليس لك الويلُ يا أختية ، اسكني ، رحمك الرحمن ! " ^(٦٣) . والمكان هنا هو الدار الأخرى التي سيذهب لها الحسين عليه السلام ، لكن احساس الأخت بأخيها وخوفها عليه حرك النص باتجاه آخر بعيداً عن مقدمته الإخبارية ، إلى خاتمة تتسم بالترضية والتطمين بالدعاء بالأمان والسكينة ، من أخ رحيم القلب بأخته .

ومثل ما سبق من نصوص قوله ﷺ وهو يخطب - عندما عزم على الخروج إلى العراق : " الْحَمْدُ لِلَّهِ وَمَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَسَلَّمَ ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وَلَدِ آدَمَ مَخْطَ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفِتَاةِ ، وَمَا أَوْلَهْنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقُ يَعْقُوبَ إِلَى يَوْسُفَ ، وَخَيْرٌ لِي مِصْرُ عِزِّي أَنَا لَأَقِيهِ ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عَسَلَانُ الْفُلُواتِ بَيْنَ النُّوَاوِيسِ وَكِرْبَلَاءَ ، فِيمَلَأُنْ مَنِّي أَكْرَاشًا جَوْفًا ، وَأَجْرِبَةَ سَغْبَا لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ رَضِيَ اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ ، نَصَبْرٌ عَلَى بَلَائِهِ وَيُوفِينَا أَجُورَ الصَّابِرِينَ ، لَنْ يَشُدَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لِحِمَّتِهِ ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ ، وَيَنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ مَنْ كَانَ فِينَا بِأَذْلًا مَهْجَتَهُ ، وَمَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسُهُ فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ " (٦٤). وجدنا في النص المذكور أنفاً أن الحسين ذكر أماكن متنوعة هنا هي الفلاة ، وما تعطيه من إحساس بالفراغ ، والخوف والموت والعطش ، والظلمة ، وغيرها من المعاني المخيفة التي تخطر على قلب السامع ، ثم ذكر منطقتي النواويس وكربلاء ، وهما منطقتان احتضنتا الفاجعة وقد تنبأ الإمام الحسين ﷺ بما يجعلنا نرى الواقعة حقيقة متمثلة أمامنا حتى بعد مرور قرون كثيرة .

نتائج البحث :

توصلت بعد الانتهاء من كتابة بحثي إلى جملة نتائج هي :

- تنوع النص الحسيني بين فنيّ الخطابة والرسائل ومنه الحوار ، وتنقل بين أساليب الدعاء والطلب ، والاقناع .

- أثر المكان في توجيه النص الحسيني من حالة إلى أخرى فقد كان له حضور واعٍ فيه ، فقد انتقل النص من كونه اخبارا إلى الدعاء ، أو الاقناع ، وغيرها .

- بدا واضحا ان النص الحسيني كان مقسما بين نوعين من المكان هما المكان المحسوس الذي ينظر إليه المتلقي بحاسة البصر ، ومنه مكان يحسه المتلقي إحساسا قلبيا فليس له صورة منظورة بشكل حقيقي ، مثل الجنة .

- ذُكر المكان صريحا في النص الحسيني ، وفي بعض الأحيان لم يذكر بشكل صريح ، لكنه في الحالين يفهم بشكل مؤثر في المتلقي .

هوامش البحث :

- (١) ينظر تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ٥، ١٩٨٦م :٢٢٢.
- (٢) ينظر استراتيجية المكان ، د. مصطفى الضيع ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م :٦٠.
- (٣) ينظر إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم ، د. يمنى طريف الخولي ، (ألف) مجلة البلاغة المقارنة ، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ٩٤، ١٩٨٩م :١٣.
- (٤) ينظر مشكلة المكان الفني ، يورى لوتمان ، ترجمة د. سيزا قاسم ، (ألف) ، مجلة البلاغة المقارنة ، مصر - القاهرة ، الجامعة الأمريكية ، ٦٤، ربيع ١٩٨٦م :٨١-٨٢.
- (٥) ينظر استراتيجية المكان :٦٠.
- (٦) ينظر إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم :١٣.
- (٧) ينظر بنية النص السردي ، د. حميد لحمداني ، مركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١، ١٩٩١م :٧٥-٧٦.
- (٨) ينظر م. ن :٦٢.
- (٩) ينظر جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٣، ١٩٨٧م :٥-٦.
- (١٠) ينظر استراتيجية المكان :٧٠.
- (١١) ينظر بنية الشكل الروائي : الفضاء - الزمن - الشخصية، د. حسن بحراوي ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، ط ١، ١٩٩٠م :٣٢.
- (١٢) ينظر بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، د. حسن بحراوي ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١، ١٩٨٦م :٩٤.

- (١٣) ينظر استراتيجية المكان: ١٥١ .
- (١٤) ينظر في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨ م: ١٦٠ .
- (١٥) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ٧٠ .
- (١٦) ينظر بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، : د. سيزا قاسم، القاهرة - مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ م: ٨٠ .
- (١٧) ينظر ألف ليلة وليلة: دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد، د. عبد الملك مرتاض، ط ١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩ م، ص ١٠٨ .
- (١٨) ينظر بنية الشكل الروائي : الفضاء - الزمن - الشخصية : ٦٠ .
- (١٩) ينظر بناء المكان ، د. سمر روجي الفيصل ، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ٣٠٦٤، ١٩٩٦ م: ١٣ .
- (٢٠) ينظر بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب : ٨٢ .
- (٢١) بنية الشكل الروائي : الفضاء - الزمن - الشخصية : ٤٧ .
- (٢٢) ينظر استراتيجية المكان : ١٠٩ .
- (٢٣) ينظر القارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، د. سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج ٣٢، ع ٣ - ٤، يناير - يونيو ١٩٩٥ م : ١٠٠ .
- (٢٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، القاهرة - مصر، دار المعارف، ١٩٧٣ م: ٣٤١ .
- (٢٥) ينظر رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى، جورج طرابيشي، ط ٢، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، سبتمبر ١٩٨٥ م: ٨٥ . ومقدمة في علم الجمال، د. أميرة حلمي مطر،

القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦ م : ٣٧.

(٢٦) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، السيد عبد الرزاق المقرم ، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، الشيخ عبد الوهاب الكاشي ، الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، العلامة أبو مخنف (قدس سرهم) ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩ هـ : ٢٣٩.

(٢٧) م. ن : ٢٤٠.

(٢٨) م. ن : المكان نفسه .

(٢٩) م. ن : ٢٤٩.

(٣٠) م. ن : ٢٥١.

(٣١) م. ن : ٢٦٠.

(٣٢) الزمان الوجودي، د. عبدالرحمن بدوي ، القاهرة - مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٥٥ م : ٣٩.

(٣٣) مشكلة المكان الفني : ٨٢.

(٣٤) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام : ٢٥٩.

(٣٥) م. ن : ٢٦٠.

(٣٦) تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت : ٣١٠ هـ) ، نشر بعناية يوسف بك محمد الحنفي ومحمد أفندي عبد اللطيف ، المطبعة الحسينية ، القاهرة - مصر ، ١٣٣٦ هـ : ٤٥٠ / ٥ .

(٣٧) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام : ٢٦٠.

(٣٨) ينظر لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الحزرجي المصري ، (ت ٧١١ هـ) ، دارصادر ، ودار لسان العرب ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٠ م : مادة زعم .

(٣٩) تاريخ الرسل والملوك : ٤٠٣/٥ .

(٤٠) ينظر عن العرب والبحر ، د. عبادة كحيله ، القاهرة - مصر ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م : ١٣ .

(٤١) تاريخ الرسل والملوك : ٤٢٠ / ٥ - ٤٢١ .

(٤٢) ينظر العملية الإبداعية في فن التصوير، د. شاكِر عبد الحميد ، القاهرة - مصر ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٩٩٧م : ١٩ .

(٤٣) ينظر م . ن . ١٨٠ .

(٤٤) ينظر الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها ، جيلبير دوران ، ترجمة مصباح الصمد ، بيروت - لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م : ١٠٨ .

(٤٥) جماليات المكان في مسرح صلاح عبدالصبور، د. مدحت الجيار ، (ألف) ، مجلة البلاغة المقارنة ، القاهرة - مصر ، الجامعة الأمريكية ، عدد ٦ ، ١٩٨٦م : ٤٠ .

(٤٦) ينظر بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية، د. حسن بحراوي ، الدار البيضاء - المغرب العربي ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٠م : ٢٩ ، ٣٠ .

(٤٧) تاريخ الرسل والملوك : ٤٢٣ - ٤٢٦ .

(٤٨) ينظر بنية الشكل الروائي: الفضاء - الزمن - الشخصية : ٣٢ .

(٤٩) ينظر استراتيجية المكان : ١٥١ .

(٥٠) مشكلة المكان الفني ، يورى لوتمان ، ترجمة د. سيزا قاسم : ٨٣ .

(٥١) يونس الآية : ٧١ .

(٥٢) الأعراف ، الآية : ١٩٦ .

- (٥٣) مقتل الإمام الحسين بن علي : ٩٤ .
- (٥٤) الرواية العربية الحديثة، د. محمد الباردي ، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣م ، ط ١ : ٢٣٢ .
- (٥٥) بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ : ١٢٣ .
- (٥٦) ينظر بنية الشكل الروائي : الفضاء - الزمن - الشخصية : ١٠١ .
- (٥٨) ينظر م ، ن ك ٣٢ .
- (٥٩) انظر استراتيجية المكان : ٣٩٥ .
- (٦٠) مقتل الحسين بن علي عليه السلام : ٦٦ .
- (٦١) ينظر لسان العرب : مادة نكر .
- (٦٢) ينظر م . ن : مادة مرر .
- (٦٣) مقتل الحسين بن علي عليه السلام : ٨١ .
- (٦٤) ٧٥٠ قصة من حياة الإمام الحسين عليه السلام، جمع وإعداد حسين تاج ، دار الجوادين ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م : ٢٨ .

قائمة المصادر

أولا الكتب :

، مركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، م ١٩٩١ .

٨- تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت: ٣١٠هـ) ، نشر بعناية يوسف بك محمد الخنفي ومحمد أفندي عبد اللطيف المطبعة الحسينية ، القاهرة - مصر ، ١٣٣٦هـ .

٩- تاريخ الفلسفة الحديثة ، د. يوسف كرم ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط ٥ ، م ١٩٨٦ .

١٠- جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، م ١٩٨٧ .

١١- رمزية المرأة في الرواية العربية ودراسات أخرى ، جورج طرابيشي ، بيروت - لبنان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، سبتمبر ، ط ٢ ، م ١٩٨٥ .

١٢- الرواية العربية الحديثة ، د. محمد الباردي ، اللاذقية ، دار الحوار ، ط ١ ، م ١٩٩٣ .

١٣- الزمان الوجودي ، د. عبدالرحمن بدوي ، القاهرة - مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، م ١٩٥٥ .

١٤- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور ، القاهرة - مصر ، دار المعارف ، م ١٩٧٣ .

١٥- العملية الإبداعية في فن التصوير ، د.

- القرآن الكريم .

١- استراتيجية المكان ، د. مصطفى الضبع ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٨م .

٢- ألف ليلة وليلة: دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية جمال بغداد ، د. عبدالمالك مرتاض ، ط ١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩م .

٣- الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها ، جيلبير دوران ، ترجمة مصباح الصمد ، بيروت - لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٤- بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا قاسم ، القاهرة - مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٥- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، د. حسن بحراوي ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

٦- بنية الشكل الروائي : الفضاء - الزمن - الشخصية ، د. حسن بحراوي ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

٧- بنية النص السردي ، د. حميد حمداني

- ٢٢- ٧٥٠ قصّة من حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، جمع وإعداد حسين تاج، دار الجوادين، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٦- عن العرب والبحر، د. عبادة كحيله، القاهرة- مصر، مكتبة مدبولي، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ١٧- في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨م.
- ١٨- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، ودار لسان العرب، بيروت- لبنان، ١٩٧٠م.
- ١٩- مقدمة في علم الجمال، د. أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.
- ٢٠- موسوعة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، السيد عبد الرزاق المكرم، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، الشيخ عبد الوهاب الكاشي، الشيخ عبد الزهراء الكعبي، العلامة أبو مخنف (قدس سرهم)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ.
- ٢١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- ٢٢- ٧٥٠ قصّة من حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، جمع وإعداد حسين تاج، دار الجوادين، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٢٣- ثانيا المجلات:
- ٢٤- إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم، د. يمني طريف الخولي، (ألف) مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع ٩، ١٩٨٩م.
- ٢٥- بناء المكان، سمير روجي الفيصل، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع ٣٠٦، ١٩٩٦م.
- ٢٦- جماليات المكان في مسرح صلاح عبدالصبور، مدحت الجيار، (ألف)، مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة - مصر، الجامعة الأمريكية، ع ٦، ١٩٨٦م.
- ٢٧- القارئ والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، د. سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج ٣٢، عد: ٣ - ٤، يناير- يونيو ١٩٩٥م.
- ٢٨- مشكلة المكان الفني، يورى لوتمان، ترجمة د. سيزا قاسم، (ألف)، مجلة البلاغة المقارنة، مصر - القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع ٦، ربيع ١٩٨٦م.

"في التسليم للعترة الطاهرة"

الرأي الحرّ في قصيدة الفرزدق
في الإمام السّجّاد (عليه السلام)

Free Opinion in the Poem of Al-Farzdaq on
Imam Al-Sajad

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري

العراق / جامعة بابل - كلية التربية الأساسية

أ.م.د. حسن عبد الهادي الدجيلي

العراق / الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

Prof. Thaer Sameer Hassan Al-Shamari
College of Basic Education , University of Babylon

Asst. Prof. Dr. Hassan `Abidalhadi Al-Dajeili
College of Arts, University of Al-Mustansiriya

Thaersamer1973@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

